

مصطلح "التخييل" في أعمال الزمخشري التأويلية

الأستاذ : محمد مكي

جامعة جيلالي اليابس / سيكي بلعباس

لقد ارتبط قيام الدرس البلاغي العربي بعلم الكلام وقضاياها المختلفة ارتباطاً وثيقاً. ويظهر ذلك بجلاء عند استقصاء تاريخ الدرس البلاغي وتفحص بداياته تفحصاً دقيقاً.

فلقد سجلت لنا المصادر أن المعتزلة خاضوا لجج النزال الفكري، و اقتحموا معترك الصراع الكلامي بسلاحين ناجعين هما: العقل و اللغة¹؛ فالأول كان مصدر كل طرح كلامي عند هم وأساس مذهبهم برمته. و كان الثاني أداة مفيدة تجعل النصوص طيعة للمعالجة و البحث. ولا يقوتنا أن نذكر في هذا المقام أن شيوخ المعتزلة الأوائل كانوا من الفصحاء الأذكياء، والخطباء المصاقع. فلقد ذكر بشر بن المعتز في صحيحته البلاغية المشهورة أن "كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء، و أبلغ من الكثير من البلغاء"². وتعريف عمرو بن عبيد للبلاغة³ على بدائيتها وإيجازه مشحون بالإشارات

1- يُظهر محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل ص 211. ود. عبد الستار الراوي: العقل والحرية، دراسة في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلي - لبنان - بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - الطبعة الأولى - 1980م - ص 88-91.

2- الجاحظ: البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام هارون - مصر - القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الثانية - 1960م - ج 1، ص 139.

3- روى الجاحظ ومن بعده ابن عبد ربه أنه قيل لعمر بن عبيد ما البلاغة؟ قال ما بلغك الجنة وعدل بك عن النار قال السائل ليس هذا أريد.

قال من لم يحسن أن يسمعك لم يحسن أن يسمع، ومن لم يحسن أن يسمع لم يحسن أن يسأل، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يقول قال السائل ليس هذا أريد قال النبي صلى الله عليه وسلم إننا معشر الأنبياء بكاء. أي قليلوا الكلام، وهو جمع بكى، وكانوا يكرهون أن يزيد منطلق الرجل على عقله قال السائل ليس هذا أريد. قال حكمتك تريد تخير الأنساق في حسم إلهام فقال نعم قال إنك إذا أردت تقرير حجة الله في عقول المكلفين، وتخفيف المرونة على السامعين، وتزوين المعاني في قلوب المستفهمين بالانفاط الحسنة، ورغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الناطقة عن الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب الجاحظ: البيان والتبيين ج 1 ص 114 وابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، مطبعة الاستقامة، الطبعة الثانية، 1953، ج 2 ص 105.

البيانية الدقيقة والملاحظات البلاغية الهادفة التي تؤكد ما للمعتزلة من يد طولى في نشأة الدرس البلاغي وتطوره.

ولقد كان اهتمام المعتزلة بالدرس البلاغي باكراً ، لإدراكهم مكانته الجليلة في خدمة اختيارهم العقائدي؛ فانبرى له عدد غير قليل من رجالاتهم بحثاً وتدرّساً لتحصيل الأداة الناجعة التي يتقوّهون بها على الخصوم في المناظرات والمجادلات. وكثير من أعلام اللغة و أعيان الأدب كان من المعتزلة؛ الذين مثلوا طائفة من أبرز الطوائف التي ساهمت في نشأة الدرس البلاغي و تطوّره؛ فهم كما قال الأستاذ شوقي ضيف "قد أخذوا أنفسهم بتلقين ناشئتهم كيف يفهمون خصومهم وكيف يحسنون البيان، و يصوغون الكلام صياغة تستولي على قلوب السامعين و تخلب ألبابهم".¹

فهذه المقدمة الوجيزة إن تطلّح أمام القارئ بوضوح مسألة ذات بال ألا وهي قيام الدرس ابلاغي في أحضان الدرس الكلامي ، ومن ثمة كان من الطبيعي أن تظهر آثار الأخير في الأول واضحة.

ونحن نروم في هذه المداخلة الموجزة أن نبين تأثير الدرس الكلامي بمقرراته المختلفة في وضع المصطلح البلاغي وتحديد معالمه لنخلص إلى أن المصطلح البلاغي في التراث العربي كان مرتبطاً في جانب كبير منه بالجوانب الاعتقادية والمقررات الكلامية. وقد اخترنا مثلاً لذلك مصطلح "التخييل" الذي ورد بكثرة في الكشاف والذي أثار به الزمخشري ضجة كبرى.

يمكن إدراج طائفة كبيرة من الآيات المشعر ظاهرها بالتشبيه فيما سماه الزمخشري بالتخييل، وقد أقر العلوّي له باباً فصل الحديث عنه تفصيلاً مبيناً² حيث أورد له عدة تعريفات بعضها اليق بالتورية منها بالتخييل و ارتضى أحدهما وهو أن التخييل هو "اللفظ الدال بظاهره على معنى والمراد غيره على جهة التصوير".³ وذكر أن التخييل كثير الورد في

1- شوقي ضيف : البلاغة تطوّر وتاريخ - مصر - القاهرة - دار المعارف - 1965م - ص 369-368.

2- ينظر : العلوّي : المطرّاز 11.02/03

3- المصدر نفسه 05/03

كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام البلغاء وأردف ذلك بذكر شواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف¹

ومعلوم أن أول من أدخل مصطلح التخيل في حقل الدراسات القرآنية هو الزمخشري، وغير خفي أن التخيل في الكلام قد ثبت له قبل الزمخشري بكثير إلا أنه عد من باب المجاز في القول دونما إشارة إلى مصطلح التخيل. وقد أورد ابن قتيبة حديثاً مفصلاً عن هذا الأسلوب في الكلام نرى أن نورد بعضاً منه لما فيه من الدلالة على أن هذه الظاهرة البلاغية كانت محل جدال بين المتعاطين لتأويل النص القرآني قبل الزمخشري بزمان طويل. قال ابن قتيبة: "وذهب قوم" في قول الله وكلامه: إلى أنه ليس قولاً ولا كلاماً على الحقيقة، وإنما هو إيجاد للمعاني. وصرفوه في كثير من القرآن إلى المجاز، كقول القائل: قال الحائط همال، وقل برأسك إلي، يريد بذلك الميل خاصة... وقالوا في قوله للسماء والأرض: (اثْبَتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)²: لم يقل الله ولم يقلوا، وكيف يخاطب معدوماً؟ وإنما هذا عبارة: لكونهما فكانتا. قال الشاعر حكاية عن ناقته:

تقول إذا درأت لها وضيئي أهدأ دينه أهدأ وديني

أكل الدهر حل وارتحال؟ أما يبقيني علي ولا يقيني؟³

وهي لم تقل شيئاً من هذا، ولكنه رآها في حال من الجهد والكدال، فقضى عليها بأنها لو كانت من تقول لقالت مثل الذي ذكر... قالوا: ونحو هذا قوله تعالى: (يَوْمَ نَقُولُ لِيَجْهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ)⁴ وليس يومئذ قول منه لجهنم، ولا قول من جهنم، وإنما هي عبارة عن سعتها.

وفي قوله: (تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى)⁵ يريد: أن مصير من أدبر وتولى إليها، فكانها الداعية لهم، كما قال ذو الرمة:

1- ينظر: المصدر نفسه 10.06.08/03

2- سورة فصلت: الآية 11

3- البيت للمنتجب العبدى في المفضليات 292 والكامل 193 والصناعتين 86 واللسان 342/1769/1

4- سورة ق: الآية 30

5- سورة المعارج: الآية 17

دعت مية الأعداد واستبدلت بها خناطيل آجال من العين خذل¹

والأعداد المياه، لما انتقلت مية إليها ورغبت عن مائها، كانت كأنها دعتها².

هجل هذه الشواهد القرآنية والأبيات الشعرية التي أوردها ابن هتية هي مما أدرجه الزمخشري في باب التخيل إلا أن ابن هتية - لما لم يكن تقرر لديه ما تقرر لدى المعتزلة من أن البنية شرط للحياة - ذكر أنه لا يمتنع أن تتكلم السماوات والأرض وجهنم بقدره الله تعالى الذي انطق الجلود والأيدي والأرجل وسخر الجبال والطير بالتسبيح ثم ساق شواهد على ذلك منها حديث مخاطبة الذراع المسمومة للرسول صلى الله عليه وسلم³.

لقد اعتمد الزمخشري مصطلح التخيل في أعماله التأويلية كثيرا، وبين مكانته الخطيرة من علمي البيان والتأويل حيث ذكر في سياق تفسيره الآية الكريمة: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) 4. أنه ليس ثمة باب "في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات في كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء، فإن أكثره تخيلات قد زلت فيها الأقدام قديما، وما أتى الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقيب حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه وعياله عليه، إذ لا يحل عقدها المؤزبة ولا يفك قيودها المكربة إلا هو، وكم من آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول قد ضيع وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لأن من تأول ليس من هذا العلم في غير ولا نفير ولا يعرف قبلا منه من دبير⁵.

وفي سياق حديثه عن بلاغة التمثيل في قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا يُعَذِّبُ الْمُُنَافِقِينَ) 6 وضع الزمخشري بين أيدينا مفاتيح النغم لتبين مفهوم التخيل وحقيقته

1- البيت في ديوانه 503 .

2- ابن هتية : تأويل مشكل القرآن ص 106 . 109

3- ينظر ابن هتية : تأويل مشكل القرآن ص 112 . 115

4 - سورة الزمر : الآية 67

5- الزمخشري : الكشف 409/03

6- سورة الحزاب : الآية 72

وأوجه الاختلاف بينه وبين التمثيل. ويعتبر وجه الشبه هو المعيار الأساس في التفرقة بين التمثيل والتخييل فهو في التمثيل متحقق الوجود وفي التخييل مفروض في الذهن " والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات"¹ فعرض الأمانة على الجمادات وإياها وإشفاقها محال في نفسه غير مستقيم لأن تلك الأعراض هي مما يتصف به الأحياء لا الجمادات بخلاف تقديم الرجل وتأخيرها في في قلوبهم للمتردد بين الرأيين: أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى لأنه مثلت حاله، فهو أمر غير ممتنع الوقوع.

ولئن بدا الزمخشري في بعض المواضع غير منضبط في استعمال مصطلحي التمثيل والتخييل لتقاربهما في الدلالة فإنه في سياق تفسيره قوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)² حدد مفهوم كل واحد منها لديه فقال: "ومعنى أمر الأرض والسماء بالإتيان وامثالهما أنه أراد تكوينهما فلم يمتنع عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الأمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل. ويجوز أن يكون تخيلاً ويبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والأرض وقال لهما اتئيا شئتما أوأيتما، فقالتا: أتينا على الطوع لأعلى الكرم والغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات لا غير من غير أن يحقق شيء من الخطاب والجواب، ونحو قول القائل: قال الجدار للوتد: لم تشقني فقال الود: أسأل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي..."³

والملاحظة البارزة التي ينبغي تسجيلها في هذا السياق هو أن الزمخشري عمد إلى التأويل بالتخييل في كثير من النصوص القرآنية التي اسند فيها فعل من أفعال الأحياء كالكلام وغيره إلى الجماد لما تقرر عند المعتزلة من أن البنية شرط للحياة. بينما أجرى الأشاعرة تلك النصوص على ظواهرها لعدم مناقضتها مقرراتهم الكلامية في هذه المسألة⁴.

1- الزمخشري: الحشاش، 277/03

2- سورة فصلت: الآية 11

3- الزمخشري: الحشاش، 445/03، 446

4- ينظر: ابن التبر: الانتصاف، بهامش الحشاش، 10/04. والرازي: التفسير الكبير، 174/28 و128/30

وقد أورد العلوي حديث الزمخشري عن مكانة التخييل من علم البيان والتأويل مورد رضا وقبول، بيد أنه تعسف في شرحه وتفسيره¹، وأبقى لنا في ثانيا حديثه ذلك إشارة معرفية مهمة: حيث صرح بأن للمفسرين في تأويل الآي المتشابهات طريقتين:

أولاً : طريقة المتكلمين؛ وهم " يؤولون هذه الظواهر تأويلات وإن بعدت حذرا من مخالفة العقل، ويعضدون تأويلاتهم بأمور لغوية فيذهبون إلى أن المراد باليد: النعمة، وأن المراد بالعين العلم..² وهي طريقة في التأويل ركيزة مزدرة عند أهل البيان وقد أشار إليها قبله عبد القاهر الجرجاني عندما ذكر أن تأويل اليمين في قوله تعالى (وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ)³ بالقدرة إنما كان من بعضهم تأويلا على الجملة، وقصدا "إلى نفي الجارحة بسرعة، خوفا على السامع من خطرات تقع للجهال وأهل التشبيه، جل الله وتعالى عن شبه المخلوقين؛ ولم يقصدوا إلى بيان الطريقة والجهة التي منها يحصل على القدرة والقوة. وإذا تأملت علمت أنه على طريقة المثل⁴ ونجد لهذه الطريقة حضورا كبيرا في الأعمال التأويلية لدى القاضي عبد الجبار لقصر باع الرجل في علم البيان وتوحيه في تأويلاته تقرير قضايها علم الكلام.

ثانيا : طريقة البلاغيين؛ ويعمد أصحابها - وفي مقدمتهم الزمخشري - إلى اعتبار تلك الآيات المتشابهة "جارية على نعت التخييل فهي في الحقيقة دالة على ما وضعت له في الأصل، لكن معناها غير متحقق، وإنما هو أمر خيالي، فاليد مثلا دالة على الجارحة، والعين كذلك، لكن تحقق اليد والعين في حق الله تعالى غير معقول، ولكنه جار على جهة التخييل..⁵ وهي طريقة أرسى دعائمها الزمخشري في كشفه.

1- ينظر: العلوي: الطراز 03/03 ومحمد أبو موسى: البلاغة القرآنية ص 728، 731

2 - العلوي: الطراز 07/03

3- سورة الزمر: الآية 67

4- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ص 368

5- ينظر: العلوي: الطراز 07/08/03

والتخيل عند المتأخرين من علماء البيان قد يراد به الاستعارة التخيلية التي هي قريته المكنية وقد يراد به ما سماه بعضهم "الاستعارة بالتخييل" وبعضهم الآخر "التمثيل التخيلي" وهو أحد قسمي الاستعارة التمثيلية¹، وهو ما عناه الزمخشري في كلامه المذكور سابقاً. ولقد أشار الرازي وقبله عبد القاهر الجرجاني إلى أن أغلب الآيات التي يوهم ظاهرها التشبيه: كقوله تعالى (وَلْيَصْنَعِ عَلٰى عَيْنَيْهِ) 2 وقوله جل وعلا: (وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا) 3 هي من باب الاستعارة التخيلية. 4 ويلاحظ أنهما قد أوردتا هذه الإشارة في سياق الحديث عن الاستعارة التخيلية قريته المكنية، ولعل ذلك إنما كان منهما تحفظاً في إطلاق لفظ التخيل على كلام الله تعالى.

ويبدو أن تحفظ أهل السنة في إطلاق مصطلح التخيل على كلام الله تعالى هو تحفظ على الدلالة الإيحائية للفظ أكثر منه على معناه والمراد به وذلك لاقتراح التخيل بالكذب والباطل والظن المخالف للحقيقة⁵، وإلا فإنهم يوافقون الزمخشري في أكثر من موضع. يقول ابن المنير معقياً على تأويل الزمخشري الآية الكريمة: (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) 6: "هنا إطلاق التخيل قد مضى له في مثل قوله (وَالْأَرْضُ

1 - ينظر: السبكي: عروس الأفراح، مرجع سابق، 35/04. الثيان في البيان: للعليبي. تحقيق: عبد الستار حسين زموط، بيروت، دار الجيل، المطبعة الأولى، 1996، ص 389، 390 وقد ذكر أحمد بن محمد مكّي الحموي أن الاستعارة التمثيلية تنقسم ثلاثة أقسام:

الأول: ما كان معنى المستعتر منتزعا من أمور محققة في الخارج وهو الاستعارة التمثيلية الحقيقية.

الثاني: ما كان معنى المستعتر منتزعا من أمور موجودة في الذهن وهو الاستعارة التمثيلية الحقيقية العقلية.

الثالث: ما كان معنى المستعتر منتزعا من أمور متخيلة لا تحقق لها في الذهن ولا في الخارج؛ وهو الاستعارة التمثيلية التخيلية. ينظر: درر العبارات، وغرر الإشارات في تحقيق معاني الاستعارات - تحقيق: إبراهيم عبد الحليم التلب - القاهرة - مطبعة السعادة - دبل - 1987 ص 88.

2 سورة طه: الآية 39

3 - سورة هود: الآية 268

4 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ص 109 والرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص 133. ونشير إلى أن الجرجاني استعمل ثرا مصطلح التخيل في أسرار البلاغة بيد أنه لم يعم به بتاتاً الاستعارة بالتخييل التي نحن صدد الحديث عنها.

5 - ينظر: العلوي الطراز 03/03 وابن المنير: الانتصاف - بهامش الكشاف 385/01

6 - سورة ق: الآية 30

جَمِيعًا قَبِضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ 1. وفي مثل قوله: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) 2 وإنما أراد به حمل الأيدي على نوع من المجاز، فمعنى كلامه صحيح لأننا نعتقد فيهما المجاز وندين الله بتقديسه عن المفهوم الحقيقي فلا بأس عليه في معنى إطلاقه، غير أننا مخاطبون باجتساب الألفاظ الموهمة في حق جلال الله تعالى وإن كانت معانيها صحيحة، وأي إيهام أشد من إيهام لفظ التخيل، ألا ترى كيف استعمله الله فيما أخبر أنه سحر وباطل في قوله: يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى. فلا يشك في وجوب اجتنابه 3 ثم ذكر أن فتح باب التأويل المجازي بهذا الشكل يفضي إلى الإفراط في حمل النصوص على غير ظواهرها ومن ثمة إلى الضلال 4. وولعل ابن المنير قد أخذ حكمه هذا من كلام الرازي عند تفسيره الآية الكريمة: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ تَآوِيلَاتِ الْفَلَّاسِفَةِ فِي أَمْرِ الْمَعَادِ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ: (جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) 6 ليس هناك لا أنهار ولا أشجار، وإنما هو مثل للذة والسعادة، ويقولون في قوله (ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا) 7 ليس هناك لا سجود ولا ركوع، وإنما هو مثل للتعظيم، ومعلوم أن ذلك يفضي إلى رفع الشرائع وفساد الدين 8. وانطلاقاً من هذا التصور الحذر لمصطلح التخيل 9 انبرى ابن المنير الإسكندري لتعقب الزمخشري وانتقاده في كل موضع أطلق فيه مصطلح التخيل 9. وقبله عرض الرازي بالزمخشري في أكثر من موضع مصرحاً بأن ما اعتبره تخيلاً ماهو إلا تمثيل، بل إنه قد ينقل كلام الزمخشري بحذافيره ويعرض عن إطلاق مصطلح التخيل كما في تفسيره قوله تعالى: فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ 10 حيث ذكر أن للمفسرين في هذه الآية قولين:

- 1- سورة الزمر: الآية 67
- 2- سورة المائدة: الآية 64
- 3- ابن المنير: الانتصاف. بهامش الكشف 10/04
- 4- ينظر: ابن المنير: الانتصاف. بهامش الكشف 10/04
- 5- سورة القلم: الآية 42
- 6- سورة البقرة: الآية 25
- 7- سورة الحج: الآية 77
- 8- الرازي: التفسير الكبير 94/30
- 9- ينظر: وابن المنير: الانتصاف. بهامش الكشف 01/426:385:129. 03/543:445:408. 04/62:10:09.
- 10- سورة فصلت: الآية 11

الأول: إجراؤها على ظاهرها بمعنى أنه كان شمة أمر من الله تعالى وإجابة من السماوات والأرض بالنطق حقيقة، لأن الله تعالى خلق فيهما حياة وعقلا وفهما. وقد اعترض الرازي على هذا القول بأن السماوات والأرض حال توجه الأمر إليهما كانتا معدومتين فلا يصحها التفسير.¹

الثاني: أن " المراد منه أنه أراد تكوينهما فلم يمتعنا عليه ووجدنا كما أرادهما، وكانتنا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الأمير المطاع، ونظيره قول القائل: قال الجدار للوئد لم تشقني؟ قال الوئد أسأل من يدقني. وأعلم أن هذا عدول عن الظاهر، وإنما جاز العدول عن الظاهر إذا قام دليل على أنه لا يمكن إجراؤه على ظاهره، وقد بينا أن قوله (اثنيًا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) إنما حصل قبل وجودهما، وإذا كان الأمر كذلك امتنع حمل قوله (اثنيًا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) على الأمر والتكليف، فوجب حمله على ما ذكرنا.² والقول الثاني هو في الحقيقة قول الزمخشري جرده الرازي من مصطلح التخيل.

ونخلص في الأخير إلى أنه كان لقضية الحياة واقتضاؤها للبنية عند المعتزلة وعدم اقتضاها ذلك عند الأشاعرة أثر بارز في استخدام مصطلح التخيل في تأويل النص القرآني وتحديد أساليبه المجازية.

وأن الزمخشري قد دفعه منهجه الاعتزالي المتحرر إلى استخدام مصطلح التخيل في وصف بعض الأساليب المجازية في النص القرآني، بينما امتنع عن ذلك اعلام الدرس التأويلي الأشعري معتبرين خطوة الزمخشري في ذلك سوء أدب في حق كلام الله تعالى. وأن اعتراضهم إنما كان على دلالة المصطلح الإيحائية أكثر منه على معناه والمراد به. ويسبب تحفظ الأشاعرة على إطلاق لفظ التخيل على كلام الله تعالى لم يكتب لهذا المصطلح البقاء والذیوع كما كان الأمر بالنسبة لقريته مصطلح التمثيل الذي فضل كلاميو الأشاعرة وبلاغيوهم استخدامه للدلالة على الاستعارة في التركيب بغض النظر عن تحقق التشبيه أو عدمه. وبهذا يتبدى لنا التأثير الواضح لعلم الكلام وقضاياها في وضع بعض المصطلحات البلاغية لا وضبط استخدامهما.

1- ينظر: التفسير الكبير ج 27 ص 106

2- الرازي: التفسير الكبير. مصدر سابق. 106/27